من أعلام القضاء

فضيلة الشيخ سعد بن محمد بن فيصل آل مبارك

(١٣٣٣-١٣٩٨هـ)

قاضي الوشم

إعداد/ حمد بن عبدالله بن خنين

نشـأ في بيـت علم وشرف ودين، وحفـظ القرآن عن ظهر قلب، وقـرأ على علماء نجد، وكان على جانب كبير من الأخلاق العالية والصـفات الحميدة، والزهد والورع، متمتعاً بقدر كبير من الحكمة والأناة والحلم، مثالاً رائعاً للعدالة والنزاهة، حازماً مسدداً محبوباً، له مكانة مرموقة وكلمة مسـموعة، وكان الشـيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ مفتي الديار السـعودية معجباً به وبقضاياه، تولى قضاء ضرما ووادي الدواسر والقرية العليا والرياض وشقراء ومرات، درس رحمه الله في مدن كثيرة، إنه العالم الفقيه الشيخ سعد آل مبارك قاضي الوشم المولود عام ١٣٣٣هـ والمتوفى عام ١٣٩٨هـ.

مولده ونشأته

العالم الجليل والفقيه الورع سـعد بن محمد بن فيصـل بن حمد بن مبارك. ولد في حريملاء سنة ١٣٣٣هـ، في بيت علم وشرف ودين، فأبوه العالم الجليل الشيخ محمد بن فيصـل، فرباه والده أحسن تربية، وقرأ القرآن وحفظه تجويداً، ثم حفظه عن ظهر قلب على أبيه، وكان يدارسه، وشرع في طلب العلم بهمة ونشاط ومثابرة، فقرأ على علماء بلدة حريملاء ولازمهم زمناً.

مشايخه في حريملاء:

١-والده الشيخ العالم محمد بن فيصل المبارك.

٢-وابن عمه الشيخ فيصل بن عبدالعزيز المبارك.

٣-الشيخ إبراهيم بن سليمان الراشد.

٤-والشيخ سعد بن عبدالعزيز اليحيى.

قرأ على هؤلاء الأصول والفروع والحديث والتفسير والمصطلح وعلوم العربية.

كان أحد طلاب العلاّمة فيصل المبارك، الذي خرَّج على يدي الشيخ فيصل بن عبدالعزيز المبارك رحمه الله أجيالٌ من طلبة العلم، وكثيرٌ منهم تولَّى القضاء في عدّة جهات.

من أبرزهم:

١-الشيخ إبراهيم بن سليمان الراشد رحمه الله، قاضي الرياض ووادي الدواسر.

٢-الشيخ عبدالرحمن بن سعد بن يحيى رحمه الله، قاضي الرياض وحريملاء.

٣-الشيخ فيصل بن محمد المبارك رحمه الله رئيس هيئة الحسبة وعضو مجلس الشورى بجدة.

٤-الشيخ سعد بن محمد بن فيصل المبارك رحمه الله قاضي وادي الدواسر ثم الوشم.

٥-الشيخ محمد بن مهيزع رحمه الله، قاضي الرياض.

٦-الشيخ ناصر بن حمد الراشد رحمه الله، رئيس ديوان المظالم.

مكانة أخيه فيصل

هو العالم الجليل والأديب البارع الشيخ فيصل بن محمد بن فيصل بن حمد بن مبارك، المولود في حريملاء عام ١٣١٩هـ، وربَّاه والدُه الشيخ محمد بن فيصل أحسن تربية، فنشأ نشأة حسنة، وقرأ القرآن وحفظه تجويداً، ثم حفظه عن ظهر قلب على يد الشيخ علي بن داود، وشرع في طلب العلم بهمة ونشاط ومثابرة.

قرأ على أبيه العلاّمة محمد بن فيصل، وكذلك قرأ على الشيخ العالم القاضي الشيخ عبدالله بن فيصل بن سلطان، قاضي المحمل والشعيب، وعلى ابن عمّه العلامة الشيخ فيصل بن عبدالعزيز آل مبارك.

ثم بعثه والده إلى الرياض للتزود والاستفادة من العلم، فقرأ على علمائها ولازمهم ومن أبرزهم الشيخ سعد بن حمد بن عتيق محدث الديار النجدية والشيخ حمد بن فارس، لازمهما في الأصول والفروع وعلوم العربية كليها، كما قرأ على سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم مفتي الديار السعودية، والشيخ العالم صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ، والشيخ العالم محمد بن عبداللطيف والشيخ محمد بن إبراهيم بن محمود العالم الفقيه، والشيخ عثمان بن عبيد، وغيرهم.

لازم هؤلاء زمناً، وكان نبيهاً من أوعية الحفظ يتوقد ذكاءً، ولديه موهبة وجواب حاضر، فنبغ في فنون عديدة.

أوفده الملك عبدالعزيز رحمه الله عام ١٣٣٧هـ مع عمه الأمير عبدالله بن ناصر آل مبارك للقيام بجَولات في جباية الزكاة من الأحساء وما حولها، ثم عينه الملك إماماً ومرشداً لإحدى الهجر الجنوبية، ثم استدعاهُ والدُه الشيخ محمد إلى الشارقة في ولايته لقضائها ليكون مساعداً، له واستدعاه حاكم الشارقة سلطان بن صقر بإشارة

الشيخ علي المحمود بعد ذلك قاضياً في الشارقة، وذلك للنهوض بشأن العلم والقضاء والإفتاء والإرشاد، ثم رحل إلى الحجاز مراراً آخرها عام ١٣٥٠هـ، فقرأ على علماء المسجد الحرام، ودرس فيه وأرشد في المواسم، ثم رئيساً لهيئة الحسبة في الحرم المكي ثم تعين مدرساً بمدرسة الفلاح، ودرَّس في جامع عكاشة وأرشد جماعته مراراً، ثم أسند إليه الإشراف على الامتحانات (الأسئلة وأجوبتها)، ثم مفتشاً إدارياً لمنطقتي جازان وأبها، ثم أعيد إلى رئاسة هيئة الحسبة بجدة. ثم تعين مستشاراً شرعياً للمحكمة التجارية، ثم عضواً بالغرفة التجارية، ثم عضواً بمجلس الشورى بجدة.

ملازمته العلامة العنقري

رحل الشيخ سعد المبارك إلى المجمعة، فقرأ على العلاّمة الشيخ عبدالله العنقري ولازمه، وأخذ منه كثيراً من المعارف والعلوم الشرعية.

مشايخه في الرياض

رحل إلى الرياض، فقرأ على علمائها ولازمهم طويلاً في الأصول والفروع وعلوم العربية، ومن أشهر مشائخه فيها الشيخ محمد بن إبراهيم، والشيخ عبداللطيف بن إبراهيم آل الشيخ.

وجَدَّ في الطلب مع ما وهبه الله من قوة في الحفظ وسرعة في الفهم فنبغ في فنون عديدة، أهَّلته للقَضاء.

كما كان الشيخ سعد المبارك على صلة قوية بالشيخ عبدالعزيز بن باز، والذي كان رفيقاً له في طلب العلم على الشيخ محمد بن إبراهيم، رحمهم الله أجمعين.

صفاته:

كان الشيخ رحمه الله على جانب كبير من الأخلاق العالية والصفات الحميدة، فكان رحمه الله ذا زهد وورع، متمتعاً بقدر كبير من الحكمة والأناة والحلم. فكان رحمه الله في قضاياه مثالاً للعدالة والنزاهة، حازماً مسدداً محبوباً، وله المكانة المرموقة والكلمة المسموعة، وكان الشيخ محمد بن إبراهيم معجباً به وبقضاياه.

قال الشيخ عبدالله البسام: (وقد شفعَ محصوله العلمي بأخلاق فاضلة من البشاشة والطلاقة وحسن السمت والعفاف والنزاعة والرفعة عن الدنايا).

تدريسه:

درَّس الشيخ سعد المبارك رحمه الله سنين عِدَّة، وتخرَّج على يديه طلبةٌ كثيرون تولوا القضاء في مُدن كثيرة.

عمله في القضاء

تولَّى القضاء في بلدان عديدة:

١-ففي عام ١٣٦٢هـ اختاره شيخه محمد بن إبراهيم لقضاء ضرما.

٢-ثم انتقل عام ١٣٦٣هـ إلى وادي الدواسر.

٣-ثم إلى قرية العليا في عام ١٣٧٠هـ.

٤-ثم في الرياض عام ١٣٨٠هـ.

٥-ثم في شقراء ١٣٨٢هـ.

٦-ثم في مرات ١٣٩٣هـ وظل بها إلى أن توفي عام ١٣٩٨هـ رحمه الله.

وفاته:

استمر الشيخ سعد المبارك على حالته القويمة وسيرته المستقيمة حتى وفاه أجله المحتوم.

فلبَّى نداء الحق في شقراء ليلة الخميس ٢٤ / رجب / ١٣٩٨هـ، وصلي عليه في جمع غفير ظهر الخميس وحزن الناس لفقده.

ورثاه أخوه الشيخ فيصل بن محمد المبارك رحمهما الله بمرثية قوية مطلعها:

بكيتُ أخي سعداً ولا مثله سعد
ولا مثله ابن وليس لهُ نِد
أديب أريب يسرع الخطو للحجى
وفي الخير لا من لديه ولا حِقد
يحب ذوي القربى ويدنوا مع الجفا
يرحب إن جاؤوا ويقبل إن صدوا
موطأ أكناف مع الناس كلهم
يذكرنا بالصالحين إذا عدوا
لئن كانت الأمجاد تبنى على الحجى
فأوفر حظ في العلا لك يا سعد
بعيد عن الأهواء قريب إلى الهدى
منيع الذرى حامي الذمام إذا ارتدوا
ستبكيه من بعد الممات محاكم
صحائف عدل فصلها الجد والرشد

أردد سعداً في القصيد تلذذا
فمنزله قلبي وروحي له المهد
سأندبه والندب غاية حيلتي
فذكراه لي عطر وذكراه لي ند
أيا ربنا رِفقاً فضيفك مؤمن
مقيم على التوحيد قد ضمه اللحدُ

ممن كتب عنه:

ترجم له كتاب «علماء نجد خلال ثمانية قرون» للشيخ عبدالله البسام. ج٢، ص(٢٤٠-٢٤١)، وكتاب (روض الناظرين في علماء نجد) للشيخ محمد بن عثمان القاضي ج٢، ص(١٢١-١٢٣). كما كتب عنه ابنه الدكتور محمد في ذكر المدن التي تولَّى قضاءها والمُدد التي قضى في كلٍّ منها. وكما كتب عنه محمد بن حسن المبارك في صيد الفوائد.

غفر الله لشيخنا وأسكنه فسيح جناته، كنز من الخبرة وعلم من أعلام القضاء وبحر من العلوم الشرعية، ومفخرة من المفاخر العدلية.